القسم الثالث :

فرنسا ومستعمراتها

للأستاذ أحمد رمزى بك

إن العالم الإسلامى فى يقظته وفى كفاحه مع الاستعمار البريطانى والأوروبى والصهيونى يواجه ثلاث هيئات اتحادية : الاتحاد السوفييتى فى الشمال والاتحاد الفرنسى فى المغرب والاتحاد الهندوكى فى الهند . وكل اتحاد منها يعطى لنفسه مظهر حركة تقدمية[1] يصبغها بصبغة التحرر[2] ويريد كل منها أن يقنع العالم أن هذا الاتحاد أو الضم جاء وليد إرادة شعبية ، وأنه فى مصلحة هذه الأمم

وفى الهند يأخذ الاتحاد شكل حركة قومية كبرى . ولو كان الأمر قاصراً على الناطق التى يسود فيها الروس والفرنسيون والهندوس لما أثار ذلك اعتراض أحد من الناس .

ولكن الباحث الدقق لا تغريه الألفاظ والمظاهر ، إذ يتبين له أن كلا منها ينتزع أقطاراً شاسعة ويحاول أن يضم أمماً إسلامية لا تمت بصلة إلى الاتحاد الذى يفرض نفسه فرضاً عليها ولذلك لا تلبث أن تنكشف حقيقة هذه الأنظمة الاتحادية حينما يتعلق الأمر بمستقبل الشعوب الإسلامية وحريتها ، إذ تبدو لنا هذه الأنظمة فى ثوب قوات رجعية[3] تعسفية[4] ، لا تمنح للمسلمين حريتهم

(١) progressiste . (٢) emancipation .
(٣) retrograde . (٤) aggressif .

وحقهم فى تقرير مصيرهم ، بل تجعل للتحكم والسيطرة والاستغلال الاقتصادى شكلا جديداً براقاً لا يغتر به إلا الواهمون .

فالاتحاد الفرنسى يحاول بقوة التشريع ضم أراضى شمال أفريقية وسكانها وهم أكثر من عشرين مليونا ، لهم تاريخهم وثقافتهم وشخصيتهم ، بدون أن يسمح لهم بأبداء رأى فى هذا الاتحاد ، والاتحاد السوفييتى يضم أكثر من أربعين مليونا من المسلمين الأسيويين لا يسمع لهم صوت ولا يسمح لهم بالاتصال بالعالم الخارجى ، والاتحاد الهندى يمنع إنشاء دولة الباكستان الإسلامية ولا يسلم بها .

ولا يمكن للعرب فى أفريقيا والمسلمين فى آسيا قبول وضع من الأوضاع يجعل منهم أقلية فى بقعة من بقاع الأرض : لأن تجارب الماضى كانت شديدة الوقع عليهم ، ولذلك فهم لا يسلمون الأقدار أن تتحكم فيهم مرة أخرى ، ثم هم أصحاب مجد وتاريخ وصولة على هذا الكوكب الأرضى ، وهو تاريخ حافل بأيام العراك والكفاح والنصر والهزيمة ، وهو فى قوته وبروزه وأثره ، لا يمكن أن يقارن بتاريخ أى أمة من أمم الأرض مهما علا كعبها فى الحضارة ، وقد ألقى علينا هذا الماضى درساً قاسياً لا يمكن أن ننساه ، فنحن قد فقدنا ملايين من العرب فى إسبانيا وجزائر صقلية وسردينيا وكريت ومالطة ، كانوا عرباً دخلوا هذه البلاد واستوطنوها ، ثم زالت أيامهم فأدمجوا بالسيف فى جنسيات وأديان أخرى ، ولا تزال دماء العروبة فى عروقهم إلى اليوم ، وهناك ملايين من المسلمين كانوا سادة فى القرم ورومانيا والبلقان فأين هم اليوم ؟ إنهم يوم أن أصبحوا أقلية أفناهم الظلم والاستبداد .

ولهذا فكل اتحاد يفرض بالقوة على أقطار المغرب وشعوبه العربية ، ويحول بينهم وبين جامعتهم هو حركة استعمارية رجعية تعسفية تستهدف إفناء العروبة والإسلام والوقوف أمام نهضة الشعوب العربية فى مراكش وتونس والجزائر وإضعافها كقوة فعالة فى تاريخ العالم . ولذا وجب على كل فرد منا أن يفهمها على حقيقتها وأن يشعر بالأخطار التى تهددنا من هذه الناحية ، وأن نحشد كل مالدينا من القوى الروحية والعقلية للوقوف أمامها حتى يشعر العالم أجمع أنه ليس فى عزمنا نحن معاشر الأمم الإسلامية والعربية أن نقنى بهذه السهولة من الأرض فنذهب ريحنا لدى الصدمة الأولى .

* * *

تعرف من ستقابل ، وقيل لها وهى فى طريقها إليه : «أى أم علقمة والله لو وافقته فى المذهب لنجوت من أذاه » فقالت : « قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين » .

وجاءت ديوان الحجاج وقد استحال كل ما فيه إلى وجوم ، ووقفت وهو جالس فانتهرها قائلا : «لقد خبطت الناس بسيفك يا عدوة الله خبط العشواء» . فقالت : «لقد خفت الله خوفا صيرك فى عينى أصغر من ذباب » وكانت منكسة . فقال : « ارفعى رأسك وانظرى إلى » فأجابت : « أكره أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه » . فقتلها .

(البقية فى العدد القادم) صفية الكيلانى

ولقد عرضنا فى القسمين المتقدمين لمصاعب الاستعمار الفرنسى ولسنا نأخره عن ملاحقة العالم ، وكشفنا عن إفلاس فرنسا كدولة حاكمة ، وقلنا إن هذه الأمور جهر بها كتاب الغرب وسلم بها الفرنسيون أنفسهم أو فريق منهم ، وكنا نقدم للقارىء ما يحول بنفسية الفرنسيين من آمال وسط هزائمهم وبعد أن ظهر للعيان تقصيرهم ، وكنا نرى بهذا أن نضع الحقائق مجردة أمام القارىء حتى يكون على علم بأقوال الخصم ، وما يدخلها من غرور ووعيد وغايتنا من ذلك أن يفهم العالم العربى أن محاربة الاستعمار تستلزم الوقوف على أساليبه والالمام بطرقه وأن الدول الناصبة مهما كانت سياستها غاشمة ومع مابين أيديها من وسائل القمع ، تحاول أن تفرغ هذه السياسة فى قالب يقبله العقل ويسلم به ، فعلى الذين نصبوا أنفسهم للجهاد أن تتسع صدورهم لأقوال الخصم وأن يروضوا أنفسهم على الحقائق وإن كانت مرة ليتسنى لهم تحقيق ما رسموه لأنفسهم ومبادئهم من أهداف .

والدول الاستعمارية لا تفهم ما نقرره لأنفسنا بل لاتسلم به ، وإنما لديها المنظمات التى توافيها بكل صغيرة وكبيرة عنا ، وهى لا تنوى أن تتنازل عن أملاكها ومستعمراتها أو تفرط فى حق من حقوقها ، إلا بالقدر الذى تنتزعه الشعوب منها ، وهذه فى تقدمها وسيرها نحو الوعى القوى واليقظة تؤمل فى أن تتشبع بالحقائق ، حتى لا تذهب جهودها وضحاياها هباءً ، ثم هى تروم أن تحقق لها مجداً وأن تسير فى طريق التحرر والخلاص وأن تعالج مشاكلها على ضوء العلم ووضع الأمور فى نصابها ، فعلى المتصدرين للحركات العامة أن يهيئوا أنفسهم للقيادة ، ولا يكون ذلك بغير العلم والبحث والدرس ، وتتبع الدول الاستعمارية والكشف عن أغراضها ومراميها والوقوف موقف الحريص على حقوق هـــذه الشعوب بل موقف اليقظ للدفاع عنها أمام الضمير العالمى .

وقف فى القرن الماضى بعض كتاب الانجليز يتحدثون عن أعباء الرجل الأبيض ومسئولياته إزاء الشعوب المحكومة فقالوا إنه يحمل عبئاً ثقيلا هو قيادة هذه الشعوب نحو الحضارة والتقدم ، وفى نفس الوقت أطلق كتاب أوروبا على دولة آل عثمان اسم رجل أوروبا المريض . فمن كان ينتظر بعد مضى سنوات أن تتبدل أحوال الكون وأن تصبح الأوضاع مقلوبة ؟ فإذا بالأمبراطورية الفرنسية هى الرجل المريض الذى تخشى الدول الغربية وفاته ، وإذا من أعباء الرجل الأبيض ممثلاً فى الحكومات الانجلوسكسونية بريطانيا وأميركا ؛ حماية امبراطورية مريضة فى حالة النزع ، والمحافظة على وحدتها ، وأحيانا مجاملتها على حساب حرية الأمم المغلوبة على أمرها .

إن الأسلحة والمعدات الحربية التى تسلمتها من هذه الدول لم تستعملها فى قتال الألمان وتحرير البلاد منهم ، وإنما وجهت إلى صدور الشعوب المظلومة فى مدغشقر والهند الصينية ، وهذا العتاد سيستعمل يوما ضد أمم العروبة فى المغرب ، فما الثمن الذى قبضه الرجل الأبيض ؟ : هو تحطيم السور الفولاذى حول المستعمرات أمام نشاطه وفتح حدودها واعتبارها أسواقاً تجارية له ، وماذا كسبت فرنسا الأم الحنون ؟ كسبت المجد الدائم وهو أن تمر العمليات بطريق باريس بدلاً من أن تتجه رأساً إلى أراضى المستعمرات ، وفى سبيل ذلك يسلم الرجل الأبيض ببقاء فرنسا مدة أخرى فى شمال أفريقيا محتفظاً لنفسه بحق الرجوع مرة ثانية إليها إما لتحريرها أو للمساعدة فى تهدئتها .

* * *

فى الوقت الذى كان رجال فيشى يفاضلون فيه التضحية بأراض من فرنسا محافظة على وحدة أملاكهم الأفريقية ، كان الفرنسيون الأحرار يفكرون تفكيرا استعماريا من نوع آخر ، فقد عقدوا قبل نهاية الحرب مؤتمراً لهم فى مدينة برازافيل بأفريقيه جمع عدداً من حكام المستعمرات تبادلوا الرأى فيما بينهم واتخذوا قرارات بشأن سياسة المستقبل بعد أن استعرضوا مسائل هامة : منها العمل على رفاهية السكان الوطنيين ورفع مستواهم المادى مع تحسين حالتهم الاجتماعية والفكرية ، وعرضوا لمسائل التعليم وأثر الدين وتوزيع العدالة ، ثم بحثوا مسائل الحكم الذاتى والإدارة المباشرة وغير المباشرة ، واتخذت قرارات سرية نحو وحدة الامبراطورية والسير بها فى طريق الاتحاد الفرنسى ، وهذه القرارات هى التى نقلوها معهم إلى الجزائر وأدمجوها فى مشروع الدستور الجديد ، فعلى الذين يدرسون هذا الاتحاد أن يرجعوا إلى بحث قرارات هذا المؤتمر الاستعمارى وسنأتى على شىء من ذلك فى القسم التالى .

أحمد رمزى